الفلسفة الغدية عند محمد عزيز الحبابي

الأستاذ: بن ازواو عمر
جامعة الجزائر – الجزائر

المخلص :

يتناول هذا البحث مسألة العلاقات الدولية الحديثة و المعاصرة ،و طريقة معالجتها الفلسفية في الفكر العربي المعاصر، و هذا من خلال أحد أهم و أبرز المفكرين العرب و المسلمين ألا و هو **محمد عزيز الحبابي** . الذي يريد هذا البحث أن يبين مدى أصالته الفلسفية في تناوله لهذه المسالة ، فغداة الحرب العالمية الثانية انقسم العالم إلى نصفين: النصف الأول يقع في شمال الكرة الأرضية و هو غني متقدم ، أما النصف الثاني فيقع في جنوبها وهو فقير متخلف. و قد عزز هذا الانقسام النظام العالمي الجديد .و في ظل هذا الانقسام وما افرزه من سلبيات أثرت بشكل مباشر على العالم و بالخصوص العالم الثالث(*) ظهرت الفلسفة الغدية **لمحمد عزيز الحبابي** بهدف تحقيق غايتين اثنتين هما:

– إعادة دول الجنوب و العالم الثالث المتخلفة إلى واجهة الأحداث، بحيث تصبح من جديد لاعبا فعليا و حقيقيا في هذه الأخيرة بعدما كانت مهمشة ، و يكون ذلك عن طريق إصلاح شأنها الداخلي انطلاقا من إعادة هيكلة إنسان العالم الثالث إي إعادة أنسنته هذا من جهة .

– إعادة تقييم الظروف و العلاقات الدولية ، أي الظروف العالمية و العلاقات التي تربط الشمال بالجنوب و هي علاقات لابد أن تتحدد على أساس المساواة و نبذ النظرة الاستعلائية للشمال . و لا ننسى في هذا الإطار مطالبة الفلسفة الغدية وحثها على الاهتمام بالمجتمع التقني المعاصر ومشاكله ، و أن ذلك لن يكون إلا بفتح حوار بناء بين الإنسان و الإنسان ، أي بين الفلسفة و الأخلاق من جهة ، و العلم و التقنية من جهة أخرى .

الكلمات المفتاحية

الفلسفة ،النظام العالمي المعاصر ، العالم ، العالم المتقدم ، العالم المتخلف ، الفلسفة الغدية ، محمد عزيز الحبابي ، العالم الثالث ، عالم الغدية ، التشخصن ، الإنسان ، المستقبل ، العلاقات ، الحوار ، الانغلاق ، الانفتاح ، الغدية ، إحصائيات مستقبلية ، فلسفة علمية ، مجتمع جديد ، المجتمع الغدي ، الأنسنة ، المجتمع الآلي المعاصر ، المشاكل ، العلم ، التقنية ، الأخلاق ، مظاهر سلبية ، فلسفة إنسية ، الآلة ، الطبيعة ، الثقافات الوطنية ، اليوتوبيا ، استشراف، التخيل، العالمية ، العالمية ، معايير ، الصراع ، المزاحمة ، الأمة ، الأفراد ، الشمولية ، الهيمنة ، المصالح ، الإسلام ، الليبرالية ، اقتصاد، التطور ، الحرب العالمية الثانية ، الأزمة الاقتصادية ، المدرسة ، الإصلاح ، هيكلة ، التجديد ، العلاقات الاجتماعية ، مهام ، التغيير ، الكينونة .

(*)– يجب أن لا ننسى في هذا الإطار الظروف السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية التي كانت تعيشها دول العالم الثالث قبل نهاية الحرب العالمية الثانية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و إذا كانت الفلسفة الغدية جاءت لتستهدف هاتين الغايتين فإنها حددت الإطار المرجعي لذلك بصياغة مباحث منهجية مساعدة لها .كاليوتوبيا ، و العالمية ، و المدرسة ، و الليبرالية و مهـام مستعجلة لا بد وان تنجزها في القريب العاجل .كل هذه المباحث و غيرها من شأنه في النهاية أن تعيد ترميم الوضع العالمي المعاصر الذي يخضع لنظام لا يعترف إلا بالقوة و الآلة و التقنية .

إن الفلسفة الغدية كانت تستهدف منذ البداية إلى غاية النهاية كانت تستهدف خلق إرادة حوار بناء تسقط فيه كل الفروقات و الحواجز، و هي بذلك تعد إسهام فلسفي معاصر.

العـــــــرض :

تعد الفلسفة مرآة عصرها ، لأنها تعكس شتى الأحداث و الوقائع الاجتماعية .من ثم يصبح من الضروري على الفيلسوف أن يهتم بكل الأحداث و الوقائع التي شهدها عصره ، و أن يتفاعل معها في محاولة منه لإيجاد ما يفسرها ، و نتيجة لذلك فإننا لانستطيع الفصل بين تفكير الفلاسفة في مجتمع ما ،و ظروفه الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية ...الخ. فمنذ أن أصبح الإنسان قدرا على التفكير و التأمل الحر اتجهت تصوراته و أفعاله كلها نحو ما يحيط به بغية الفهم و التغيير و التعديل([1]) ، ما يكشف لنا أن هناك علاقة قوية متبادلة بين التفكير الفلسفي لأي فيلسوف من جهة ، و بين ما يحياه من جهة أخرى ، و هو الآمر الذي نجده جليا واضحا في هذا العصر و خاصة إذا ما تعلق الآمر بالنظام العالمي المعاصر الذي قسم العالم إلى نصفين لا يتقسمان نفس الصفات . عالم شمالي متقدم مهيمن على كل شيء و أخر جنوبي متخلف تابع للأول في كل شيء .

و في خضم هذا الانقسام ظهرت الفلسفة الغدية التي قامت بدور فعال يتمثل في محاولة رأب الصدع بين هذين العالمين من جهة، و إعادة بلدان العالم الجنوبي إلى واجهة الأحداث من جهة أخرى. و لكن ياترى من صاحب هذه الفلسفة ؟ و ما هو مضمونها ؟

صاحب هذه الفلسفة هو المفكر و الفيلسوف المغربي (1923- 1993) **محمد عزيز الحبابي** احد أهم رموز و أعلام الفكر العربي و الإسلامي المعاصر .تولى منذ بداية تفكيره الفلسفي الاهتمام بقضايا و هموم الأمة العربية الإسلامية لاسيما قضية تخلفها الحضاري ، ولعل ما يفسر لنا هذا الاهتمام البالغ هو انتماؤه العرقي لها أي لهذه الأمة . إلا أن الجدير بالذكر هنا هو أن هذا المفكر هو على العكس من المفكرين الموازيين له تماما – اعني العرب و المسلمين – فلقد تجاوز النطاق الجغرافي في تفكيره – العربي و الإسلامي – ليمتد إلى تفكير أوسع و أكثر شمولية تفكير أصبح يهتم بالقضايا العالمية و لاسيما قضايا العالم الجنوبي أو المتخلف أو الثالثle tiers – monde ([2]) الذي مهما اختلفت النعوت و الأسماء حوله إلا انه يبقى يعني عالما واحدا يضم جملة من الدول المختلفة تجمع بينها أشياء و صفات كثيرة، فتاريخيا وسياسيا كانت هذه الدول أرض مستعمرة تابعة لدول الشمال، أما اقتصاديا فهي دول تعاني من تخلف اقتصادي بتدني مستوى المعيشة و الدخل الفردي و انتشار البطالة ، و عموما فهي بعيدة عن الاقتصاد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النامي المتقدم << و لا تنتمي إلى مجموع الدول ذات الاقتصاد النامي أي كتلة الدول غير منسجمة التي يجمعها التخلف في مقابل كتلة الدول المصنعة >>([3]) .

إن الحديث عن القضايا العالم الراهنة و بالخصوص قضايا العالم الثالث من وجهة نظر الحبابي نستطيع أن نجزم انه حديث يعود في حقيقة الآمر إلى سببين رئيسيين هما :

أولا : سبب ذاتي يعود إلى إنتماء هذا المفكر إلى هذا العالم .

ثانيا: و هو سبب موضوعي يتمثل في القفزة النوعية التي حققها هذا العالم من خلال تحرره و استقلاله في النصف الثاني من القرن المنصرم. وهو الأمر الذي شد تفكير **الحبابي** و أخذ يتسع في الأفق نحو غاية واحدة و هي الخطو بإنسان العالم الثالث على وجه الخصوص و إنسان العالم على العموم خطوات ايجابية تثور و ترفض كل الإيديولوجيات و الأفكار الزائفة التي تعطل إمكانيات الإنسان نحو التشخصن([4]) و الوجود المتميز([5]) . و تكشف عن الأخطاء التي وقعت فيها الأنظمة المعاصرة (ليبرالية ، اشتراكية) وبيان عجزها عن تحقيق سعادة الفرد و المجتمع.

لقد انصبت تأملات المفكر والفيلسوف الحبابي في مرحلة ما بعد الإستقلال على تحليل أوضاع الدول المستعمَر قديما و المستعمِرة سابقا، ودراسة العلاقات القائمة بينهما في ظل الإستراتيجية الاقتصادية الدولية بعد الحرب العالمية الثانية و طموحات المعسكرين المهيمنين(الشرقي و الغربي) على العالم ، و تتويجا لذلك جاء تأليفه لكتابه الموسوم" **عالم الغد**" كدراسة لهذه الأوضاع، والوقوف على حقيقتها في صورتها العالمية الجديدة من جهة ، ونداء مفكر من العالم الثالث لمواجهة كل الأخطار التي تواجه الإنسانية من جهة أخرى ،داعيا إلى إنقاذها من ثقافة الهيمنة، وأخطار المزاحمات والصراعات الاقتصادية وإعادة أنسنة l'humanisme([6])كل ما يرتبط بالنشاط الإنساني، بسيادة القيم والأخلاق التي تعيد للإنسان مكانته الطبيعية بهدف تحقيق غد أفضل عن طريق الغدية أو الفلسفة الغدية التي يقترحها ويراها ملحة أكثر من أي وقت مضى .

1- مفهـــوم الفلســفة الغـــدية

جاء تعريف الفلسفة الغدية عند **الحبابي** ، في كتابه الأخير "**عالم الغد**" حيث أكد فيه أن تهيئة الإنسان والعالم لغد أفضل إنما يكون بصياغة فلسفة جديدة تختلف في جوهرها عن الفلسفات السابقة و المعاصرة لها في آن واحد. ما يجعلها فلسفة جديدة من نوع فريد ،تطمح إلى تجاوز كل الاطروحات و التناولات النظرية للمشاكل الإنسانية و العالمية لتمر إلى طرح واقعي وعملي . فالفلسفة إذا لم تكن قادرة على التغيير تحولت إلى لعب تافه أو ثرثرة زائدة . ومن هنا فالفلسفة الغدية هي نظرية في الفعالية أكثر منها مشروع نظري، وهي تستمد قيمتها على أساس مدى قدرتها على تغيير أوضاع الإنسان و العالم الثالث و العالم أجمع .

إن الفلسفة الغدية هي فلسفة << تستسيغ مكتسبات الفكر المعاصر وتتفتح على المستقبل وتعتمد على الشك المنهجي الذي يجعلها تضرب بالوثوقية عرض الحائط ، سواء أكانت في العلوم الإنسانية أو العلوم الطبيعية، وانقطاع عن التأمل النظري المحض، واكتفاء بنظرة مجزأة عن الأحداث والأشياء ومجموع واقع الإنسان ككل >>([7]) ونستنتج هنا أن هذه الفلسفة تتبلور في فضاء منفتح حر يأخذ بكل ما هو مفيد و جديد في الساحة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفكرية بغية إثراءها لمشروعها الغدي ، و هي في هذا كذلك منفتحة من حيث الزمان لأنها تحاول أن ترسم ملامح مستقبل جديد و غد أفضل على ضوء الماضي و الحاضر .

و هكذا نجد أن أهم سمة تتميز بها الفلسفة الغدية هي الانفتاح بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. فأسوء ما وقعت فيه الفلسفات السابقة هي الانغلاق و الثقة و الدوغمائية المطلقة في الأفكار و الآراء. و قد حدد **الحبابي** آلية الانفتاح بالشك و عدم اليقين في أي فكرة كانت سواء إنسانية أو طبيعية، و من هنا تصبح الفلسفة الغدية نسق فلسفي جديد تنصهر و تمتزج فيه كل الأنساق الفلسفية لخدمة الإنسان و العالم.

إن إرادة التأكيد على الهدف الذي جاءت من أجله هذه الفلسفة جعلت من صاحبها يذهب إلى تحديد المفهوم الذي إنضوت تحت لواءه وجعلته محور تفلسفها إنه الغدية . والتي تعني الدراسة العلمية للغد بالانطلاق من إحصائيات مستقبلية سواء كانت قائمة أو متوقعة بمنهج علمي بهدف معالجة النشاطات الإنسانية قصد إستخلاص عناصر متوقعة تهتم بالانسانية جمعاء و بكل أبعاد الإنسان المادية و الروحية و الوجدانية ...الخ ([8]) .

و هكذا فالفلسفة الغدية بهذا المعنى هي فلسفة علمية إنسانية ذات نزعة إجرائية، غايتها الاهتمام بالإنسان وتوتره و بالكيفية التي يجب أن يتفاعل بها في هذا العالم و معه ، و هي في النهاية تطمح إلى بناء مجتمع جديد هو مجتمع الغد .

2- وظيفة الفلســـفة الغـــدية

إن المطلع على تاريخ الفكر الفلسفي يكتشف أن هذا الفكر مهما اختلف من حيث عصره و جوهره إلا أنه كان يطمح إلى تحقيق غاية معينة ، و هو الأمر الذي نجده جليا واضحا مع الفلسفة الغدية ، التي كانت و لازالت تهدف إلى محاولة إعادة أنسنة الإنسان ،و إقامة علاقة إنسانية متكاملة بين الشمال و الجنوب ، و فتح حوار بينهما يحدد شروط تطور الإنسانية . و أن الحضارة لا تبنى على الصراع بقدر ما تبنى على الحوار و التواصل و التراكم و تكامل المعارف و الخبرات . و عليه تبدو الفلسفة الغدية بهذه الشاكلة و الصورة بحث في المستقبل و استشراف للغد . تسعى لرسم واقع جديد يتجاوز الحاضر ، وتتطلع إلى أنسنة جديدة هدفها تحقيق التضامن العالمي بالتواصل البشري عن طريق العودة إلى التاريخ العام أي تاريخ الإنسانية جمعاء([8]) الذي تتحد فيه الجهود التي ترمي للاستفادة من التجارب والخبرات التي عاشتها الإنسانية فيما مضى ، واستثمارها في ادارك صيرورة تطور الإنسان.

وكما يعتقد **الحبابي** أن الفلسفة الغدية إذا أرادت أن تكون كذلك يجب أن تعاصر و أن تساير التطور النوعي للمجتمع الآلي المعاصر و مشاكله . بمعنى أن هذه الفلسفة يجب أن تكون موازية لكل الأحداث و الاكتشافات التقنية الآلية . فتتفاعل معها في محاولة منها لحل المشاكل التي تخلفها أو على الأقل أن تتأمل في نتائجها لتكون لديها القدرة على تصنيفها . و كمثال على ذلك أن التقنية في الآونة الأخيرة أظهرت لنا معدلات جديدة من امتداد العمر و زيادة المواليد و تغيير و تعديل أوقات العمل. و كل هذه مظاهر لا معنى لها إذا تخلت عن جانبها الإنساني و الأخلاقي،و هنا بالذات يكمن الدور الواقعي للفلسفة الغدية إذا أرادت أن تكون غدية ([9]) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صحيح أن كل من العلم و التقنية قدما للإنسانية خدمة جليلة بداية من العصر الحديث إلى غاية الآن ، فالنقلة النوعية التي عرفتها هذه الأخيرة لم تكن لتكون كذلك لولاهما . و لكننا لا نبالغ عندما نقول أنهما – أي العلم و التقنية – يحملان مظاهر سلبية تؤثر مباشرة على حياتنا. لذا على الفلسفة الغدية أن تتدخل في محاولة منها لتعديل أو على الأقل للتخفيف من هذه المظاهر، بتقديم نصائح و توجيهات وقيم أخلاقية للعلم و التقنية، و كلما نجحت في فرض هذه الأخيرة جاز لها أن تكون فلسفة أخلاقية و إنسية .

و في هذا المجال نلاحظ أن العلاقة بين العلم و التقنية من جهة، و الفلسفة الغدية منة جهة أخرى، تظهر في ذلك الجدل و الصراع الدائر بين الطبيعة كمعطى أولي خام و بين الكائن – أي الإنسان– كعنصر حركي فعال، و أن ذلك الجدل لن يمر دون تدخل الآلة التي تساعد في عملية التحكم في الطبيعة . فكلما تطور العلم و التقنية اضطر الإنسان للقيام بتحويلات جذرية و عميقة في الطبيعة ليسخرها في خدمته ([10])، و هو ما يفرض عليه إيجاد الوسائل و الآلات الضرورية و المناسبة. دون أن ننسى أن مهمة الفلسفة الغدية هي التحكم و السيطرة على هذه الآلة ([11])، بمضاعفة القيم و القواعد الأخلاقية ، و التأكيد الدائم على الحضور الواعي لقوى الإنتاج، و جعل كل هذا قاعدة واقعية لأنسنة المجتمعات التي لا تتم إلا في علاقة و حوار متبادلين مع الآلة، أي مع العلم و التقنية . فكلما كانت هنالك تلك العلاقة و كان هنالك ذلك الحوار اتحدت المجتمعات فيما بينها و تأنسنت ، و كلما غاب ذلك أدى إلى تعميق الفارق ببين هذه الأخيرة .كما هو حال العالم اليوم تماما. عالم منقسم على نفسه . ثري متقدم و أخر فقير متخلف و مهمش.

و انطلاقا مما سبق نقول أن الفلسفة الغدية عند الحبابي هي فلسفة يجب أن تقود السير نحو الوحدة الشاملة التي تمزج بين دول العالم في إنسانية واحدة، لا تحضا ولا تعترف بقيم الآلة و المادة و الوسائل على حساب الإنسان،و أن تجعل من مجموع الثقافات الوطنية (كل الثقافات العالمية) متكاملة و خصبة تثري حضارة الغد([12]) .إنها فلسفة تريد من وراء كل هذا أن تكون ثالثية (نسبة إلى العالم الثالث). تتقدم خطوة إلى الأمام في حوارها مع الغرب – باعتباره المسيطر و القوي ماديا و تقنيا – و بيان أن حضارة الغد إنما هي نتاج اتحاد و تساوي جهود كل الأطراف العالمية([13]) .

3– المبـاحث المنهجية للفلـسفة الغدية

إذا كانت الفلسفة الغدية عند الحبابي هي فلسفة إجرائية غائية هدفها القضاء على الإبهام و المشاكل التي تعترى حضارة اليوم ، ومن ثم النزوع إلى مستقبل غدوي أساسه الشمولية و الأنسنة . فان هذا في نظره يحتاج من جديد إلى مباحث وعناصر منهجية تستطيع أن تؤثر في نشؤ وتحقيق عالم الغد ، و بذلك جاءت محاولته في تحديد البعض من هذه العناصر و المباحث. فيا ترى ما هي هذه المباحث ؟ وما هو مضمونها المعرفي ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-1 اليوتوبيـا – utopia

يعتقد الحبابي أن أول المباحث المنهجية التي من شأنها التأسيس للفلسفة الغدية ، وعالم الغد هو البحث في قضايا الغد والانفتاح على المستقبل على قاعدة الماضي و الحاضر، لأن استشراف المستقبل مرهون بعملية التخيل الخلاق ([14])، و منه فان الاعتراض على اليوتوبيا إنما هو اعتراض على التأمل و استشراف عالم الغدية ، وعليه فهي رؤية وتصور عميق أصيل لدلالات الغد ، ومن المناسب و المعقول أن نتأمل و أن نتخيل في محاولة تحسين عالم اليوم. فاليوتوبيا تعبر في النهاية عن نزوع الكينونة المتوتر و روحها وحركتها المستمرة نحو عالم أفضل، فلا صيرورة ولا إبداع ما لم ترتسم على الأفق صور الخيال المأمولة([15]) .

3-2 العـــــالمية

يعتقد الحبابي أننا إذا كنا نريد أن نصل لفلسفة غدية حقيقية نصنع بها مستقبل غدي جديد ، لا بد أن يصحب بل و يسبق ذلك محاولة الوصول إلى العالمية أو الشمولية ، و لكن ترى ما هي العالمية وما علاقتها بالفلسفة الغدية ؟

يُقصد بالعالمية توحد و انصهار جميع الشعوب ، أي شعوب العالم في عالم واحد يخضع لقوانين ومعايير واحَدة و موحِدة ، تتجاوز كل أنواع الهيمنة والسيطرة و المزاحمة ، تتعارض و التعصب القومي ، و منه فالسبيل الوحيد لإنقاذ هذه الشعوب هو ضرورة الوحدة و نبذ التفرقة . غير أن هذا ليس بالأمر السهل كما يتصوره البعض بل فيه من الصعوبات ما يعقد من مسألة تحقيقها و هذا يعود إلى :

1- تمثيل الحكومات لشعوبها في المنظمات الدولية ،مما يحول دون توحد الشعوب في أمة واحدة ، لأن هذه الحكومات لا تعكس في حقيقة الأمر سوى مجموعة من الأفراد هذا من جهة .

2 – أما من جهة أخرى ، فان أصحاب المصالح في الشمال (العالم المتقدم) يعملون بكل قواهم على استمرار التفرقة بين الشعوب ، و ازدياد هيمنة دولهم ([16]) .

إن العالمية من شأنها أن تقضي على نظام المزاحمات و الصراعات المادية القاتل، لتقرب بين المصالح و تلعب دورا مهما في سيادة الأخلاق و الحقوق الدولية الواحدة . لذلك يرى الحبابي أن الاقتصاد الغدي مدعو لخوض معارك طاحنة لتخليص كامل الإنسانية من الموروث السابق و الجائر، و يبلور قوانين جديدة تراعي مصالح كل الأطراف كالتوزيع العادل للمواد الأولية ، وكذا الخدمات و الصحة و التربية و تجاوز قانون السوق ([17]) .أما إذا فشلت في هذه المهمة فستبقي كأحلام و أماني طوباوية .

وفي هذا الإطار يشير أن العالمية ليست بنموذج جديد معاصر ،بل هو قديم نجده في الديانات السماوية (اليهودية ، المسحية ، الإسلام) . فلقد خلقت هذه الأخيرة مجتمعا عالميا لا تفرقة و لا حواجز فيه . يخضع لنظام التضامن و المصالح المشتركة. يتجاوز اختلاف الوطن ، اللغة ، اللون ، الثقافة ، و الإسلام يجسد ذلك بقوة بدليل أنه مؤسس على العالمية و الشمولية ، فقد دعا الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى نبذ العصبية في الإسلام . و في هذا يقول الله عز وجل: << إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون>>([18])، و عليه فالمخرج الوحيد من التصوف و التزمت الذي يعيشه عالم اليوم لن يتم إلا وفق اتحاد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دول العالم، ومناشدة العالمية التي تتجاوز الأفق القومي إلى عالمية بمعايير واحدة و موحدة أساسها إنسية الغد .

3-3 الليبـــــــرالية

الليبرالية مرادفة للنظام الاقتصادي الحر في الغرب، والذي لا يزال سائد إلى غاية اليوم أو هي النظام الاقتصادي للدول المتقدمة ، وعليه فإذا كان البعض يعتقد أنها النظام الأمثل في التطوير المجتمع وتحسين مستواه العام، فان هذا غير صحيح نسبيا على الأقل، لأن الليبرالية كشفت عن وجهها الحقيقي المخيف بعد نهاية الحربين العالميتين الأولى والثانية ،إنها نظام مادي يبجل رأس المال على الإنسان وقيمه . جعلت من الأخلاق والمعايير الإنسانية و الاجتماعية هراء لا معنى له ([19]) ، كما أنها نظام خلق جملة من التناقضات .كان أبرزها تضخم الأزمات الاقتصادية والنقدية . ما يعني أن المجتمعات الليبرالية أصبحت تعاني من تضخم و زيادة كبيرة في الإنتاج، ويقابلها في الطرف الآخر (العالم الثالث) قلة و انخفاض في نسبة الاستهلاك الذي نتج عن التوزيع غير عادل للثروات، وعن نقص واسع في القدرة الشرائية ([20]). ويعود السبب في كل هذا إلى الحرية الاقتصادية الفردية التي تتباهى بها هذه الليبرالية . وقد امتد تأثيرها السلبي إلى غاية دول العالم الثالث، حيث دخلت مع الغرب في هذا النظام باعتبارها سوقا مثالية يتخلص فيها هذا الأخير من إنتاجه أو من تضخمه .

لقد دفعت الليبرالية بالعالم الثالث إلى الدخول في عالم الصراع المالي و الاقتصادي من خلال الاستغلال غير أخلاقي وغير المشروع للاستثمارات الأجنبية من طرف قادة هذا العالم (رجل السياسة هو نفسه رجل الاقتصاد في العالم الثالث) ،و في ذلك هم يعتقدون أنهم في معزل عن النتائج السلبية التي يفرزها هذا النظام الاقتصادي . وخير دليل على ذلك ما يحدث هذه الأيام من أزمة اقتصادية مالية (الأزمة المالية العالمية 2008 التي بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية) أتت على كل دول العالم ، ولم تفرق بين غنية و أخرى فقيرة. وعليه كان لا بد من التخلص من هذا النظام وتعويضه بنظام التنافس التي يعطي حضوضا متساوية للجميع ، فيحل محل الصراع و الشعور المرير الشعور بالتضامن والاتحاد ([21]) ، فقد وضع **امانيول مونييه**([22]) مبدأ التنظيم الاقتصادي والاجتماعي للبيئة الشخصانية (نسبة الى الفلسفة الشخصانية التي أسسها). فميز بين الحد الأدنى الحيوي الضروري وبين الحد الحيوي الشخصي ليرسم بعد ذلك الخطوط الرئيسية و الأخلاقية للحاجات الأولية ، وقد وضعت في المنظار الكامل للشخص . أما فيما يتعلق بالإنتاج فيجب أن يقوم نظام المجتمع الشخصاني على :

1- أسبقية العمل على رأس المال .
2- أسبقية المسؤولية الشخصية على الأجهزة المغلقة الاسم .
3- أسبقية التنظيمات الإنسانية على التنظيمات الآلية([23]).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3-4 المـــدرسة

من بين الوسائل والأجهزة التربوية التي يجب أن تدخل في صنع عالم الغدية ما يطلق عليه اليوم اسم المدرسة ، ولكن بمفهوم جديد يختلف كليا عن المفهوم الذي ساد سابقا ويسود الآن في مجتمعاتنا ، أي تعويض واستبدال المفهوم الكلاسيكي لها الذي يعبر عن مجرد اجترار أمجاد الماضي وانعكاسها في بحوث أكاديمية ، و التعود على تلقين التلاميذ في الابتدائيات على الشعارات والألفاظ الرنانة ، أو زيادة وتكديس ذلك في أدمغة المراهقين الثانويين . وعليه فالمدرسة الغدية هي المدرسة التي يجب أن تقابل المدرسة التقليدية الكلاسيكية في كل الاتجاهات ، والمطلوب هو أن يصاحب كل عملية تعليم الاهتمام بالإصلاح ([24]) الذي ينطلق من إعادة هيكلة الذهنيات والمشاعر بناءا على إعادة صياغة برامج ومناهج الكتب المدرسية الجديدة .

وأن المدرسة المثالية مدعوة إلى التجديد في كل ما سبق وان تقوم بتغيرات جذرية ثقافية ،أخلاقية،سيكولوجية، لإعادة أنسنة الإنسان بنظرة شمولية وتضامن دولي ([25]) ، مما يحيل إلى إعادة صياغة وبلورة المفهوم الحقيقي للإنسان باعتباره الأساس والمحور الذي تقوم عليه الحياة والعلاقات الاجتماعية ، و تتخطى النظرة الجزئية العنصرية القائمة على أساس التمييز والتعصب ، بالتأكيد على ضرورة التضامن ليس القومي فقط بل الدولي و العالمي ، فالإنسان هو نفسه الإنسان في أي زمان ومكان ، ومن هنا يعتبر الحبابي أن هذا هو الدور التربوي الذي يجب على المدرسة أن تضطلع به بل هي مسؤولية على عاتقها يجب أن تنفذها منذ الطفولة قبل فوات الأوان بغيت التكيف الضروري .

4-4 مهـام من أجــل فلسفة غدوية

ضمن أخر المباحث المنهجية المتعلقة بالفلسفة الغدية اختار **الحبابي** أن يعود من جديد للحديث عن مهمة الفلسفة الغدية، لأن ذلك يفرض نفسه باستعجال، لما يعيشه العالم من ظروف و علاقات ليست عادية بالمرة، و من هنا لابد للفلسفة الغدية أن تكثف من جهودها لإنقاذ هذا العالم و تغييره و توسع مجال مهامها، وان تضطلع بأدوار جديدة تتخلى فيها عن التجريد المفاهيمي و ترتبط أكثر وأكثر بحل مشاكل العالم خاصة مشاكل العالم الثالث حلا واقعيا يكشف عن التغيير و إصلاح الإنسان ،عن طريق الحث على وعي هذا الأخير لذاته و كينونته و كينونة الآخرين فيصبح قادرا على عقلنة أوضاعه و تغييرها([26]) .

إن التأكيد على ضرورة التغيير جعل من الحبابي و الفلسفة الغدية يعتقدان بضرورة فتح حوار بين طرفي هذا العالم، وهو حوار يطمح إلى تحرير عالم الشمال من أنانيته وغروره، فيصبح عالما متقدما منفتحا على الغير فيكون نظرة جديدة عن نفسه ،و أفعاله و أوضاعه وأوضاع الآخرين حتى يستطيع أن يغير نفسه([27]) ، و نستطيع أن نتحدث عن عالم يتساوى فيه الجميع في إنسانية واحدة.

و هكذا يكشف لنا مشروع الفلسفة الغدية عند الحبابي يكشف لنا عن تصور جديد لما ينبغي أن يكون عليه عالم الغد أو المستقبل الجديد للإنسانية ، مركزا في ذلك على الوضع العالمي الراهن الذي ما برح يعصف بالعالم الثالث و العالم أجمع مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية. ليضعا نصب عينيهما محاولة إصلاح هذا الوضع ،و النهوض بهذين العالمين من جديد ،وعليه نعتقد أن **الحبابي** بهذا المشروع يكون قد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أرسى أسس افتراضية لعلم و فلسفة يدرسان الغد، انطلاقا من مؤشرات مستقبلية يجب أن تكون مبنية على ثنائية العلم و التقنية من جهة، و الفلسفة من جهة أخرى، حتى يتمكن الإنسان من اكتساب إنسانيته الحقيقية بوصفه كائن تاريخي مستقبلي غدي يحي في عالم تغيب فيه ثنائية التقدم و التخلف، و يخضع لمعايير واحدة وموحدة .

هوامش البحث

(1)- فريدة غيوة ، فجر الفلسفة المعاصرة ، مجلة سيرتا ، العدد 12، 1999، ص 87 .

(2)- العالم الثالث هو تعبير يعود إلى **الفريد سوفي** أطلقه في بداية تحرر دوله من الاستعمار و هو يعني مجموع دول الجنوب المتخلفة اقتصاديا.

(3)- محمد عزيز الحبابي ، عالم الغد (العالم الثالث يتهم) ، ترجمة فاطمة الجامعي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، بيروت، 1991، ص 108.

(4)- التشخصن: مفهوم جديد يعود اشتقاقه اللغوي إلى الفعل تشخصن . قام بصياغته الحبابي ومن قبله مؤسس الفلسفة الشخصانية الفرنسي اميل مونييه ، ومن ضمن ما يعني أنه تجربة إنسانية فريدة من نوعها خاصة خالصة تمكن صاحبها من تجاوز كل الأطر و المحددات الاجتماعية ،و الجغرافية، و العرقية مما يسمح له بأن يوظف كل طاقاته و إمكاناته الكامنة، بحرية تامة بهـــدف تغيير واقعه المتردي إلى واقع جديد أفضل منه .كما يعني التشخصن عملية ذاتية تنطلق من أعماق الذات الإنسانية تعبر عن حركة متواصلة تنقل الذات من كائن الى شخص إلى إنسان مما يسمح له بالتفكير في الأفضل.

(5)- الحبابي ، عالم الغد ،مصدر سابق ، ص 10 .

(6)- الأنسنة أو النزعة الإنسانية حركة فلسفية ظهرت في أوربا كانت تدعوا إلى إعادة الكرامة إلى القيمة الإنسانية. ترجح التفكير العقلاني، وتؤكد على تفوق الإنسان بذاته وليس عن طريق القِوى التي لا تخضع لمنطق العقل (الآلهة). و هي حركة انتشرت في أوساط الأدباء والفنانين والمثقفين والفلاسفة عموما في القرن الـ16 للميلاد (عصر النهضة). تميزت بالرجوع إلى النصوص الكلاسيكية القديمة (الإغريقية والرومانية)، لتستمد منها مناهجها وفلسفتها.

(7)- الحبابي ، عالم الغد ،مصدر سابق ، ص 205.

(8)- المصدر نفسه .

(9)- المصدر نفسه ، ص 206.

(10)- المصدر نفسه ، ص 208.

(11)- المصدر نفسه .

(12)- المصدر نفسه ، ص210 .

(13)- محمد وقيدي ، من الشخصانية الواقعية إلى الغدية ، محمد عزيز الحبابي الإنسان و الأعمار ، ط1،1991، ص 220.

(14)- الحبابي ، عالم الغد ،مصدر سابق ، ص213 .

(15)- عصام عبد الله ، الفكر اليوتوبي في عصر النهضة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1998، ص ص 12- 13.

(16)- الحبابي ، عالم الغد ، مصدر سابق، ص 214 .

(17)- المصدر نفسه ، ص 215 .

(18)- سورة المؤمنون ، الآية 52 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(19)- سيد قطب ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، دار الشروق ، ط 6 ، بيروت ، 1980 ، ص 98 .

(20)- محمد عزيز الحبابي ، من الحريات التي التحرر ، دار المعارف ، مصر ، 1972 ، ص 148 .

(21)- المصدر نفسه ، ص 172 .

(22)- امانيول مونييه (1905- 1950) فيلسوف فرنسي صاحب الفلسفة الشخصانية و مؤسس مجلة فكر.

(23)- الحبابي ، من الحريات إلى التحرر، مصدر سابق ، ص 173 .

(24)- الحبابي ، عالم الغد ، مصدر سابق ، ص 221 .

(25)- المصدر نفسه ، ص ص 222 – 225 .

(26)- المصدر نفسه ، ص 218 .

(27) – المصدر نفسه ، ص 219 .

قائمة المصادر و المراجع

المصادر -I

1- القرآن الكريم.

2- الحبابي محمد عزيز ، من الحريات إلى التحرر، دار المعارف ، مصر ، 1972 .

3- الحبابي محمد عزيز عالم الغد (العالم الثالث يتهم) ، ترجمة فاطمة الجامعي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، بيروت، 1991 .

II – المراجـــع

1- وقيدي محمد ، من الشخصانية الواقعية إلى الغدية ، محمد عزيز الحبابي الإنسان و الأعمار ، ط1،.1991

2- عبد الله عصام ، الفكر اليوتوبي في عصر النهضة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1998.

3- قطب سيد ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، دار الشروق ، ط 6 ، بيروت ، 1980.

4- غيوة فريدة ، فجر الفلسفة المعاصرة ، مجلة سيرتا ، العدد 12، 1999.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com